حرب الخليج الثانية في الشعر الأنكلوأمريكي

ترجمة وتقديم: سعدي سماوي

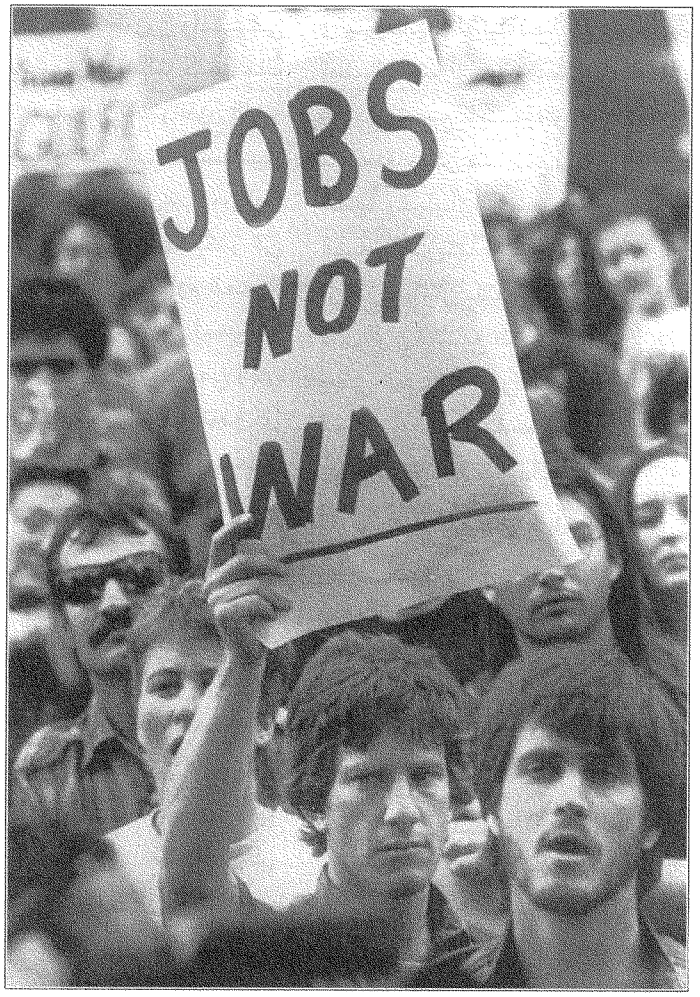

تظاهرة اميركية ضد الحرب، سان فرنسيسكو ٢٩ آب ١٩٩٠

ترجمة هذه القصائد المعادية للحرب هي جزء من مشروع أكبر أنوي فيه أن أترجم ما نُشر بالإنجليزية عن الحرب ضد العراق. وأعتقد أنّ هناك فائدةً سياسية وحضارية في ترجمة ما كُتب عن العراق في الغرب.

ففي هذه المرحلة الراهنة التي تشهد تحالفاً مثالياً بين قوى الهيمنة الأميركية وقوى الرجعية والفاشية في الشرق الأوسط يحقّ للعراقيين في مأساتهم الحاضرة أن يعرفوا أنّ هناك، حتى في عواصم الأعداء ومدنهم، مَنْ يُعجب بشجاعتهم، وصبرهم، وقدرتهم المدهشة على الاستمرار في وجهِ كونٍ معادٍ، أو على الأقل غيرِ مبالٍ. فمنذ زمن طويل والعراقيون يعيشون مع أقل ما يُمكن من الأصدقاء وأكثر ما يمكن من الأعداء. وبترجمتي ونشري لهذه الأشعار التي تحتفل بالإنسان العراقي وبحضارته وبتحمّله الأسطوري، فإني ضمناً أسجّل اسمى آيات الإعجاب بأبناء شعبي النبيل.

وفيما كنت أعمل على ترجمة هذه القصائد محاولاً أن أبني، بكلّ البقية الباقية من إيماني، أواصرَ بين الإنسانية الأمريكية والإنسانية العراقية، بدأتِ الصواريخُ الأنكلو ـ أمريكية تمزِّق، مرةً أخرى، سماءَ العراق، وبدأ الشّعرُ يهطل مع الدم. في عدد من المدن الأمريكية تجمّع المغضوب عليهم والضّالون من المجتمع الأمريكي، تجمّع الأجذمُ والأقرعُ والأبرصُ والمتشرِّد والمِثْليُّ والشيوعيُّ، مكوِّنين، رغم البرد، مظاهراتٍ صغيرةً تحمل شموعاً مثلَ شموع ديوجين متحدِّين ظلاماً غربياً، محتجّين على قصف العراق. تلك الأقلية، الرافضة للأكثرية، ما زالت تَقْبض، مثلي، على البقية الباقية من إيمانها بالإنسانية كما تقبض على جَمْرةٍ وكتبٍ وشعر وصلواتٍ في وجه التكنولوجيا البربرية.

ولكنّي، من موقعي الضعيف، من تحت الصفر، من جمرة إيماني التي تكاد تخبو في قبضتي ويعلوها الرمادُ، أتساءل: ماذا فَعَلَ الشعرُ ـ وهو كلامٌ يبدو للفاشست غيرَ جميلٍ، نشازاً، وغيرَ موزونٍ، ولا مقفّى ـ في

وجه الصاروخ، الخرابِ الموجِّهِ الموزونِ والمقفّى بالليزر؟ وقَبْلنا كَتَبَ ملكُ الشعراء، إمبراطورُ اللغة وعدوُّ الخراب، شكسبير متسائلاً برعب: من أين للوردة ـ وجمالُها يكمن في رقتها ـ أن تقاوم العَفَنْ؟ والعفن الأنكلو ـ أمريكي ليس كالعفن الطبيعي الذي رَعَبَ شكسبير واستنفر كلَّ جماله الشعريّ. بل العفن الأنكلو ـ أمريكي تركيبةٌ مركَّزةٌ من أسوإ ما في خيالِ أسوإ البشر ومن أخطرِ ما في قوى الطبيعة. إنّ الطفل العراقي من الصف الثالث الابتدائي ـ على نحو ما عَرَضَ التلفزيونُ الأمريكيُّ أثناءَ القصف مؤخّراً متباهياً بشكل مَرَضي بقوة الأمريكان ـ... أقول: إنّ هذا الطفل الذي بدأ يتقيّأ عندما رأى الصواريخ، دان وإلى الأبد حضارةَ التكنولوجيا، صانعةَ الخوفِ والقيء. وبينما يتقيأ أطفالُ العراق على جوعهم، تغنّي أقليةٌ، قليلةٌ جداً، من الشعراء الأمريكان والبريطانيين تضامُنَها مع أطفال العراق، ومع نساء العراق، مع طيوره ومع نخيله. ولكنْ ما نفعُ ذلك فعلياً وعملياً؟ هل يستطيع الشعر، أمريكياً أو بريطانياً أو عربياً، أن يهدِّئ روعةَ طفل، وأن يُشْبع طفلاً؟ أن يطفئ الصواريخ في سماء العراق ويعيد إليها نجومَها وقمرَها وظلامَها ونومَها؟

لا. أقولها بألمٍ عراقيٍ، إنّ الشعر لا يُغني ولا يُشبع من جوع ولا يحمي من صاروخ. غير أنّ الشعر، كالدين كما رآه ماركس، قد يكون أفيونَ الشعوب، ولكنّه في الوقت نفسه حسرةُ المظلومين وروحُ عالمٍ قاسٍ لا روح فيه. إنّ الشعر، كالدين، يمنح أملاً وقوةً لمن لا قوة له.

*

يستطيع القارئ أن يلاحظ أن بعض هذه القصائد، مكتوبةٌ من أجل التحريض وإثارة المشاعر ضد الحرب. وعليه فإنّ القيمة الفنية والجمالية، كما هي الحال في شعر المناسبات وشعر الدعاية السياسية، تصبح ثانويةً تحت وطأة القيمة السياسية والأيديولوجية. يضاف الى ذلك أنّ هذا الشعر موجّهٌ الى جمهور أمريكي وغربي مشبَع، منذ قرون، بالدعاية الفعّالة ضد العرب والشرقيين والمسلمين. والشاعر الأمريكي يواجه صعوبةً بالغة في إيجاد جمهورٍ يتعاطف مع العرب.

وفي مثل هذا الواقع المعادي، يصبح مجرّدُ تأييد أيّ قضية عربيةٍ أو إسلامية في الشعر الأمريكي علامةً على التمرد على السلطة وعلى الواقع. يضاف الى ذلك أنّ مجرد ذكر حقائق بديهية عن إنسانية العرب والمسلمين ودورهم في التاريخ، في وجه التشويه والجهل المصنوعيْن تكنولوجياً، يَمْنح القصيدة الأمريكية، تلقائياً، بعداً تمرُّدياً وشعرياً يلهب خيال الأقلية الأمريكية المستنيرة.

إنّ ماكنة الدعاية الأمريكية تسيطر سيطرةً شبهَ تامةٍ على تفكير معظم الشعب الأمريكي. وهؤلاء الشعراء الذين يقفون ضد سياسة حكومتهم يشكّلون عدداً ضئيلاً جداً وهامشياً جداً، بحيث أنّ شعرهم لا يُطبع ولا يُنشر على نطاق واسع وفي المجالات الكبرى. فمثلاً قصائد مينا أَلِكْزاندِرْ، وجان كلوسن، وهِلْدا مورلي نُشرتْ في كتابٍ صغيرٍ مطبوعٍ على الآلة الكاتبة وصادرٍ عن منظمةٍ صغيرة ضد الحرب:

Peace Pieces From the Gulf War: A publication of the Ad Hoc Committee for Peace and the Center on Violence and Human Survival, John Jay College, CUNY.

طبعاً، من الصعوبة بمكان توزيعُ كتابٍ كهذا على نطاق واسع، وذلك لسببين مهمين: الأول، أنّ المنظمة فقيرة لا تملك إمكانيات التوزيع. والسبب الثاني هو أنّ معظم النقّاد البارزين في الحياة الأدبية الأمريكية هم أناسٌ محافظون يخدمون النظامَ بطريقةٍ مهذبة وغير مباشرة، ويرفضون الشعرَ السياسيَّ بحجة أنه سياسة لا شعرٌ! ونظرية الجمال الأدبي عند هؤلاء النقّاد تكاد تكون مماثلةً لنظريةً «الفن من أجل الفن». ومع ذلك، فإنّ قراءةً دقيقة للقصائد المترجمة هنا لا يُمْكن أن تتجاهل الخيالَ الشعريَّ الذي يَفْرض نفسه حتى من خلال الترجمة. ومما لا شك فيه أنّ القصائد المترجمة تختلف في

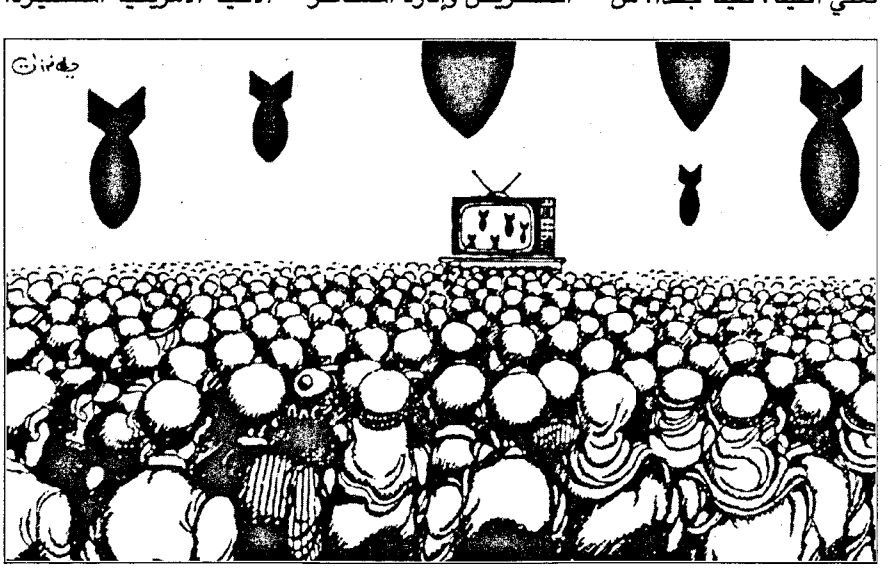

شاهدْ أكثر، تَعرفْ أقلّ!

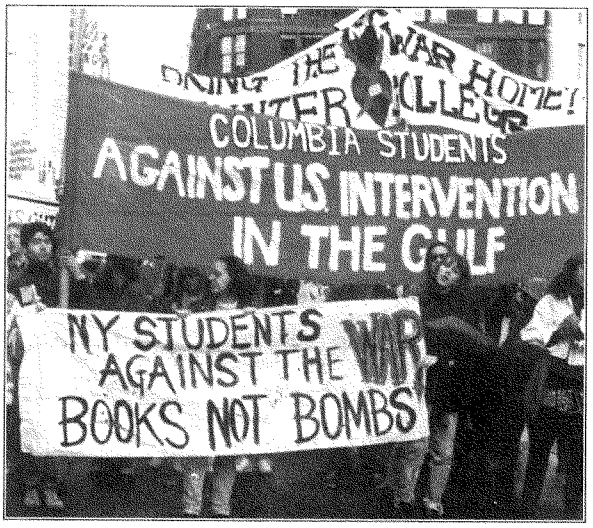

من تظاهرة لطلاب جامعة كولومبيا، نيويورك، ١٧ كانون الثاني ١٩٩١

مستواها الفني وفي رؤيتها السياسية. وإذا ما أردتُ أن أبيِّن موقفي من هذه القصائد، فإنّ أفضلها بالنسبة إليّ هي قصائد مينا ألكزاندر، ومينا ألفن، وهلْدا مورلي. وهذا طبعاً لا يعني أنّ القصائد الأخرى غيرُ جميلة، ولكنها (من وجهة نظري) أقلُّ جمالاً ودقة تصويريةً وتعبيرية.

*

جانب آخر مهم أحبّ أن أوضحه، وقد ساهم في تكوين الرؤية الشعرية في هذه القصائد. وهو أنّ كلّ هؤلاء الشعراء جرَّبوا الحربَ من خلال التلفزيون والراديو والجريدة، فجاءت تجربتهم محدودةً بهذه الوسائل الاتصالية. ووسائل الإعلام هذه تخاطِب بشكل مباشرٍ العينَ والأذنَ، وتلغي الحواسَّ الأخرى كالشمِّ واللمسِ والذوْق. وكما هو معروف، فإنّ وسائل الإعلام ترشح الأخبار وتنظّف الجريمة من الدم وبشاعة المناظر. وهذا يفسِّر بساطةَ هذه القصائد كما تبدو للقارئ العربي، الذي رأى مِنْ بشاعة الحرب أكثرَ مما رآه الأمريكيُّ من خلال وسائل الإعلام. ولكنّ هذه البساطة تتعمق فجأة عندما نلاحظ أنّ الخيال الشعري في هذه القصائد يتجاوز شاشةَ التلفزيون الأنيقة، ويَدْخل ساحةَ الحرب الفعلية متفاعلاً مع القتلى والجرحى والمذعورين. وهذا الخيال الإنساني والأخلاقي الذي يربط الشاعرَ الأمريكيَّ عاطفياً بالإنسان العراقي أو الكويتي في ساحة الحرب هو الذي يمنح الهويةَ الشعرية لهذه القصائد الشجاعة. إنها شُجاعة لأنها تتحدى محيطاً من الإعلام الكاذب، ولأنها تحطّم التلفزيون الأمريكيَّ لترى الألمَ العراقي، ولأنها تقف ضد حضارتها كما وقف كلُّ أبطال التاريخ من سقراط حتى نعوم تشومسكي.

س.س

(كليّة غرينل، الدائرة الإنكليزية، ولاية آيوا، الولايات المتحدة الأميركية)

أوكالِبتوس

منا إلفن (ويلز)

منا ألفن Menna Elfyn شاعرةٌ معروفة في ويلز وبريطانيا وعموم أوروبا، لها خمسُ مجموعات شعرية. وهي أيضاً معروفةٌ بنشاطها السياسيّ والثقافيّ من أجل استقلال ويلز من السيطرة البريطانية. وقد اعتُقلتْ وسُجنتْ عدة مرّات بسبب نشاطها هذا. وقصيدتها المُثْبتةُ هنا، والمنشورة في مجموعةٍ لها بعنوان Eucalyptus عام ١٩٩٥ عن منشورات كومر في ويلز، تُظهر كيف أصبحت شجرةُ الأوكالبتوس ـ بفعل صُورٍ حسّاسةٍ دقيقةٍ ـ رمزاً للمقاومة والعطاء في وجه القوى المعادية للحياة.

قبل أن أراها في لشبونة،
كانت لي مجرّد اسمٍ:
أَحْسنَ دواءٍ للزُكام،
حُلْواً كاذِباً
يخلِّص الصدْر
من حَشْرَجَته.
...
ولكن، اليومَ، غدتْ تلكَ
البَتَلاتُ يافطاتٍ:
تَهَب كلَّ النّاس احتفالاً مماثلاً،
غدتْ أشجاراً وديعةً لا تُؤْثِر
شعباً محدّداً
ولا أرضاً بعيْنها.
....
الدِّفءُ يتصاعدُ مِنْ عروقها
زيْتاً يضيء العالمَ،
وشحماً في قَصعة
وعائلةٌ أُطْعِمَتْ.
...
شجرةُ الأوكالِبتوس الذهبية
بَقْبَقَتْ،
ولكنّها لم تسقطْ.
جهنّم انفجرتْ في كلّ مكان،
ولكنّ الشجرة واصلتْ تقديمَ
الطعام
خالقةً مائدةً من البَرَكة....

أَوَلَيْسَ من أجلِ هذا نواصلُ
العَيْشَ
من وجبةِ طعامٍ جاهزة إلى
وليمةِ حُبٍّ:
إيقاعاتِ ماءٍ لحناجرنا
وقَوافي قوتٍ على كل شفة؟
...
تلك القطراتُ التي أُطْلِقتْ ذاتَ
لحظةٍ،
قَدَراً مؤاتياً للتعساء،
أفاحتْ عِطْرَها
أَبْذَخَ عطاءٍ،
يُعطي كلاً حَسْبَ حاجته.
...
وفي ليلةٍ باردةٍ مثل جنّة
تكون الأوكالِبتوس
هي ما تشمُّهُ
تلك الملاجئُ والأصحابُ
المجتمعون
وَسْطَ اغتصابٍ وأنقاض.
...
ذلك الزيتُ البسيطُ
الذي أبقى لي يوماً قدرةً على
التنفُّس
يَشِعُّ الآن كالضوءِ
فوق حَيَواتٍ مسودّة.

بعد مسيرة النصر الكبرى

ألِنْ غِنْزِبِرْغ (الولايات المتحدة)

يُعتبر ألِنْ غنْزبرغ Allen Ginsberg، الذي توفيّ قبل عامين، أحَد مؤسسي شعر الرفض الأميركي منذ الخمسينات، وقدسُمِّيتْ تلك الحركةُ الشعرية بـ Beat Generation؛ وهي تعني ـ بالإضافة الى معانٍ روحية أخرى ـ: الجيل الرافض، والغاضب، والسعيد بكونه مرفوضاً. وهذه القصيدة تسعى إلى تعرية مسيرات النَصر التي تنظّمها الحكومةُ الأميركية للاحتفال المَرَضيّ بقتل الأمم الأخرى. وأسئلة القصيدة تتضمّن إجابتها، وتكشف عن حاجة معظم أفراد الشعب الأميركي إلى الاحتفال والابتهاج والشعور بالقوة... ولو على حساب الآلاف المؤلّفة من الضحايا البريئة.

ملايينُ النّاس في مانهاتِنْ
يهلّلون ويُرفْرِفون الأعْلام فَرَحاً،
عادوا البارحةَ إلى أعمالهم والتهابِ مفاصلهم،
واليومَ هو الثلاثاء.
ما الذي أحْوَجَهُم أخيراً إلى ذلك القَدْرِ العظيمِ
من العاطفةِ المشبوبة،
وإلى كل تلك الغبطة المتبادلة؟
هل سيسترجعونَ قَطُّ تلك الساعاتِ من النشوةِ الملوّنةِ
بقُصاصات الحربِ من جديد؟
هل نَسُوا أنّ أروقةَ الموتِ هي التي صَنَعَتْ مثلَ ذلك الانتصار؟
هل سيكونُ مئتا ألف قتيلٍ آخَرَ في الصّحراء
عَبْر العالم
سبباً في احتفالٍ قادم؟

كانون الأول ١٩٩١

لوسيل كلفتن (الولايات المتحدة)

لوسيل كلفتن Lucille Clifton شاعرة أميركية سوداء، وُلدتْ سنة ١٩٣٦ في نيويورك، ونشرتِ العديدَ من المجموعات الشعرية التي حازت عدةَ جوائز أدبية. في هذه القصيدة، من ديوانها المعنون The Book of Light الصادر في واشنطن عام ١٩٩٣ عن منشورات كوبركانيون، تحاول الشاعرة أن تفضح العنصريةَ الأميركيةَ ضد السود، والحربَ الأميركيةَ ضد العراقيين في الوقت نفسه. وهي، شأنها شأن معظم الكتّاب الأمريكان السود، ترى أنّ الحرب المذكورة استمرارٌ لحرب الجنس الأبيض ضد الأجناس الملوّنة.

لقد أرسلوا وَلَدَنا إلى الحرب
ليلفّع نفسَه بالرِّمال..
وَلَدَنا الذي عَبَدَ طوالَ حياتِهِ
بَشَرةً شاحِبَةً وبارزةً كالسماء[1]...
وَلَدَنا الذي مارس الاسمَ الفعليَّ للربّ
ويظنّ أنّه صورةٌ طبقُ الأصل عن آدم.
نعم، أحسنُ أولادنا هناك،
مع أخته ذاتِ العيْن البرّاقة.
كلاهما ينتظرانِ بَيْنَ كُثبانِ الرّملِ،
البعيدةِ عنّا بُعْدَ المرِّيخ،
أن يُغلِقا أجفاناً سمراءَ محجُبةً
لأناسٍ ليسوا مِنْ جِلْدَتنا.
فَهُم، الذين ليسوا إيّانا، لا يَمْلكون حياةً جديرةً باحترامنا،
ولا سماءً تعْنينا،
ولا كلمةً للربّ يُمْكننا أن نَلْفظَها.
إننا لا نَعْرفهم،
ولا نريد أن نعرفهم،
ولا نريد هذا السُّهَر طوال الليل
على امتداد هذه المقاطعةِ الصُّخريّةِ القاحلة[2]
نَحْلم بالصحراء لأوّل مرةٍ،
وبالموتِ،
وبولدنا وبأختِهِ،
وبهم وبنا!

١ ـ إشارة إلى أنّ السود عامةً يرونَ في البيض ضعفاً في الجسم والروح، ولهذا يقولون إنّ بشرتهم شاحبةٌ أو صفراء. و«بروز» السماء إشارة مجازية إلى التكبّر الذي تتصف به الحضارة البيضاء. (المترجم)

٢ ـ لعلّ ذلك إشارة إلى مقاطعة في ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة حيث تعيش الشاعرة. (م)

مـــــلاذ

مينا الكْزَنْدِر (الولايات المتحدة)

Meena Alexander هي مـدرّسـةُ الأدب الانكليـزيّ في كليّة هَنْتِرْ في نيويورك. في هذه القصيدة، تحاول الشاعرةُ أن تستحضر السيَّاب في وجه الحرب الأميركية على شعبه. ولعلّها تماهي بين السيّاب والحبيب، وتفضح عجزَ الترجمة عن إيصال المعاناة العربية.

في آخر الليل، وعلى فراشٍ
متعدّدِ الوسائد،
قربَ شُبّاكٍ يُطلّ على شارعٍ
مِنْ علِ،
قرأتَ لي، وَحَلقيّاتُ لُغَتك الأمِّ
خَشِنةٌ بالرغبةِ ومضاءَةٌ بالألم،
عن شاعرٍ عَلَيْه أن يزحف إلى
بابِ الله.
...
«مُنطَرحاً أمامَ بابكَ الكبيرْ
أصرخُ في الظلام أستجيرْ»[1] ـ
لا، تلك القصيدةُ أقربُ إلى
صرخة، أَضْرَى مِن صَيْحة.
لقد كان المترجمُ الطفَ ممّا
ينبغي، فلم يُصِب الهدفَ.
...
وواصلتَ القراءةَ بلغة قبّاني،
وأدونيس، ودرويش،
وبمقاطعِ لغتِكَ الأمِّ،
وكانت صَحَارى نجدٍ
تهتزُّ في خيالك،
في حين كنتُ أتوقُ إلى أن
أبكيَ على طريقتي النسائية.
...
غَطِّني بذراعـيْك، فنحنُ في
«مطبخ الجحيم».
ألا ترى؟ لقد أُطْلِق «ياما»[2]
ثَمِـلاً، والقـواريرُ تنشَقُّ من
تحت قدميْهِ،
وهناك سـيربورس[3] يلـعق
عَلَقَ الحليبِ المحروق!
...
لكيْ آتي إليْكَ، وأتمدَّدَ على
هذا السَّرير المتعدِّد الوسائد،
في حـجـرةٍ بيـضـاءَ تُطِلُّ
على شارعٍ مِنْ علِ،
قشرتُ فَخِذَيَّ من جدارٍ
وجِلْدَ فمي مِن أعماقِ ثلاّجة.
...
إخالُ أنّني جسرٌ
من الورق المحترق.
يا حبيبي، يا حبيبي الجميلَ،
على ذِراعَيْك أن تُنزلاني
ثلاثين قَدَماً تحتَ هذه الأرضية
إلى صحراءَ قاسيةٍ لا يراها
المترجمُ.
...
ووسط الحـرارة المفـاجـئـة
سأراقبُ رجالاً ونساءً مسنّين،
وجنوداً ومدنيين يزحفون،
وسيـاراتِ الإسعـاف تخـترقُ
أضـــواءَ المرور المحطّمـــة
ومحطّاتِ القطار النفقي المغلقةَ
بالجنازير
نحو بوّابة البلاط.
...
هل يمنحُ بابُ اللّه ملاذاً؟
«أريد أن أموتَ يا إله!»
ـ هكذا تنهي قصيدتك يا بدر
شاكر السيّاب. أتَعْلم ذلك؟

١ ـ من قصيدة السيّاب «أمام باب اللّه»، وقد ترجَمَتْها الشاعرةُ إلى الإنكليزية. (م)
٢ ـ إله الموت في الأساطير الهندية. (م)
٣ ـ كلبٌ بثلاثة رؤوس، يحرس بابَ الجحيم، في الأساطير الاغريقية. (م)

رؤيا ليلية

(من تصوير CNN لقصف بغداد)

دانَ رَصْ (الولايات المتحدة)

دان رص Don Russ يدرّس الأدب الإنجليـزي منذ سنة ١٩٨١ بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة جورجيـا. وقصيدته «رؤيا ليلية»، المنشورة في مجلة Share الصادرة عن جامعة Kennesaw State فـي ربيع ١٩٩١، تحاول أن تفضح «الأناقة الجمالية» التي وصـفت شـبكةُ CNN بها الحربَ الأميـركيـة على العراق. و«رَصْ»، المعروف بإيحائيته وإيجازه، يَشْهر القصيدةَ انتصاراً للحقيقة في وجه التلفزيون.

مـا يَحْدث لا يَحْدث هنا. بل إنّه لا يَحْدث الآن. إنّه يَحْدثُ إلى الشرق من هنا،

يَحْدث غداً: نارٌ بيضاءُ على شكلِ خيوطٍ وَخرزٌ نُقَطٌ تُطلَق هناك وتَغْرَقُ في بحرٍ مِنْ هَواءٍ أَخْضَرَ، وقاعُ هذا البحر شَوَارعُ تحتَه تُزْهِرُ نُوراً.

إنّه لمنظرٌ خلاّبٌ حقاً،

وإنّه لَحُلُمٌ.

بل إنّه، وسط التَّأْتَأَتِ المفاجئةِ التي تقطع الصَّمتَ، ليس كذلك أيضاً.

إنّه لا شيء.

وفجأةً يُصبح عقلي فارغاً كالفراغ الهائل الذي أتخيّلُهُ في دماغِ اللّه.

غبارُ «أكّاد» و«أور»،

غبارُ كلِّ شيءٍ، غبارُ ما سيأتي، غُباري أنا: وفـجـأةً في الضَّوءِ البحريّ المُحَبْحَبِ هذا أغْدو لا شيء.

وأُحِسُّ، على نحوٍ مّا، وكأنّني أغرقُ!

بلا عنوان

هلدا مورلي (الولايات المتحدة)

هلدا مورلي Hilda Morley لها مجموعتان شعريتان. القصيدة المترجمة هنا، وعنوانها Untitled، تأمّلٌ شعريٌّ رقيقٌ ونفّاذ في ما عَرَضه التلفزيونُ الأميركيُّ من مشاهد حرب الخليج، وتصويرٌ لمأساة الإنسان العراقي من خلال مأساة الطيور البيضاء المسالمة التي قتلها البترول المتدفّق من الآبار المقصوفة أثناء الحرب.

آنذاكَ كَتَبتُ: ها هو البلشونُ الثلجيُّ [البياض]
الأشدُّ بياضاً من الغيوم، ومن الزَّبد،
يُشاهَدُ للمرة الأولى[1].
...
والآن،
بعد تلك الليالي المزعزَعَة، [أجد] جسدي
مغطّى بالرماد، وأدرك أنّ سيأتي خرابٌ أعظمُ
ويُنزَلُ دمارٌ وتحطيمٌ أشدّ،
ولا صرخةَ فزعٍ تُسْمع،
إلاّ تلك المرأة تصرخ راكضةً نحونا أمام الشاشة:
«نحن بَشَرٌ أيضاً»!
وتتجمدُ هناك إلى الأبد.

الغطّاسُ، والغاقُ، والبلشون[2] الآن
بلا كلمات، وعاجزةٌ عن الصراخ أو الكلام،
غُلِّفَتْ بموتها الأسود[3].
عيونها وحدها ما زالت حيّةً،
فريشُها وسيقانُها الدقيقة وزغبُها التي كانت مخالِبَ حيّةً ذاتَ يوم
قد غدت صنّاراتِ صَيْدٍ سوداءَ يموتُ عليها طيرانُها؛
وتوابيتُها[4]، التي ما زالت حيّة، راحت تتصلّب!

١ ـ إشارة إلى طيور الماء البيضاء في الخليج العربي، والتي بدأتْ تموت بعد ان غطّاها البترولُ المتدفّقُ من الآبار المقصوفة اثناء حرب الخليج. شبكة CNN استمرّت تعرض صور هذه الطيور طوال أيام الحرب. (م)

٢ ـ طيور مائية. (م)

٣ ـ اشارة إلى البترول الذي غطّى السواحل أثناء الحرب. (م)

٤ ـ كأنّ أجسادها صارت توابيت. (م)

بئر النفط المتدفق

جان كلوسن (أمريكا الوسطى)

جان كلوسن Jan Clausen تكتب الشعر والرواية والمقالة، وهي من الناشطات في الحركة النسائية في أمريكا الوسطى. وقصيدتُها المترجمة هنا، وعنوانها Gusher، تنطلق من أهمية نفط الشرق الأوسط للحياة الأميركية في جميع مستوياتها، وتستخدمه بمعانٍ متعددة اقتصادية وسياسية وحضارية وجنسية ووجودية، في سخرية مرّة غاضبة.

على أجنحةٍ من نفطٍ،
وبأذرعٍ من نفط،
عبر سماواتٍ من نفطٍ،
وفي حلمٍ من نفط.
خُبزُنا نفط،
زبدتُنا...
عِناقُنا...
...
احتمالاتُنا نفط،
ذُرّيتُنا نفط،
جلجامَشُنا وأوديسَتُنا من نفط،
جنّتُنا من نفط،
منتَزَهُنا، بقصوره المضاءة..
ضواحينا من نفط،
أكواخُنا..
بريّتُنا العاوِيَة..
طُرُقنا السريعةُ من نفط،
شارعنا القرميدي الأصفر
من نفط[1].
واجباتُنا الأخلاقية من نفط،
رتابتُنا، تفاهتُنا، من نفط
جهدنا من نفط،
راحتُنا...
...
إدمانُنا، إبرةُ تَخدُّرِنا،
أفيونُنا، سُرعتُنا..
بَظْرنا المتَلِئُ والمتطلِّبُ من نفط،
النّفط هو شَرجُنا المزَّقُ الدمويّ،
هو القضيبُ المندفعُ بقوة السُّوق بين سيقاننا المدفوعةِ بقوة السوق،
شهرتُنا، نكاحُنا، قُوّتُنا
جحيمُنا، عُقمُنا، فضيلتُنا نفط
شهيّتُنا
فمٌ على نهد
صبٌّ نفطٍ على نفطٍ ملتهب!

١ ـ إشارةٌ إلى قصة، أُنتِجتْ فيلماً، بعنوان ساحرة آن، حيث يكون الشارعُ القرميديُّ الأصفرُ رمزاً للآمال وتحقيق الرغبات. (م)

بعد إعلان نائب رئيس الوزراء العراقي مقتلَ عشرين ألف عراقي بنار الحلفاء في أقل من أربعة أسابيع

باتريك كولم ـ هوغِن (الولايات المتحدة)

باتريك كـولم ـ هوغن Patrick Colm - Hogan شاعرٌ وناقد، وُلِدَ في ولاية مِزُوري سنة ١٩٥٧ وحَصل على دكتوراه من جامعة نيويورك في بافَلو، وهو يدرِّس الآنَ الشعرَ والنقدَ الأدبي في جامعة كونَتِكتْ. قصيدته المترجمة هنا نُشرت في المجلة اليسارية الأميركية The Minnesota Review، في العدد ٣٨، ربيع / صيف ١٩٩٢.

في بغداد
صحفيٌّ أمريكيٌّ يعود إلى
ركامِ أحد الملاجئ المدمَّرة.
وبينما هو يطوف حول
الصخورِ والأنقاضِ المتناثرة
يتقدم رجلٌ نحوه،
ويسلِّمه خمسَ هوياتٍ
شخصية.
الهوياتُ تحمل صوراً:
إحداها صورةُ امرأةٍ شابّةٍ،
امرأة عادية، ليست جميلةً
ولا قبيحة؛
وثلاث صور لأطفالٍ، أطفالٍ
عاديين أيضاً، مثل أيّ أطفال
آخرين؛
والهويةُ الأخيرة هويةُ وليدٍ لم
يصوَّر بعدُ.
«أنت صحفي»،
أوْضح الرجلُ،
«أريدك أن تكتب تقريراً عن
هذا. أريدك أن تكتب كلّ اسمٍ
في صحيفتك،
أريدك
أن تكتب أنّ زوجتي وأطفالي
قد قُتلوا في هذا الملجإ
وأريد على الأقل أن يُذْكَروا».

والآن، بعد أن سمعنا هذه
الحكاية،
يمكننا أن نتصور:
خمسَ جثثٍ سُحبتْ من تحت
الركام
خمسةَ مآتم؛
يمكننا أن نتصور
رجلاً في بيته
أو في الشارع
يحدِّق إلى خمسة فضاءات
فارغة
وسط الوضوح الوحشي
للأشياء حوله..
وغرفة،
وكرسياً.

ولكنْ الآن
تصوَّرْ عشرَ جثث،
عشرةَ مآتم،
عشرة فضاءات فارغة.
والآن تصوّر خمسين،
مائة
خمسمائة، ألفاً..
تصوَّرَ ألفَ جثة
ألفَ مأتم،
ألفاً من الرجال
والنساء
والأطفال؛
أشخاصاً عاديين
تحوَّلوا في لحظة واحدة إلى
أشكالٍ مشوَّهةٍ
من إنتاج خيال العصور
الوسطى
صدورهُمُ مهشَّمة وممزَّقة
جماجمُهم مفلوعةٌ
أعضاؤهم منحرفة
ولحمُهُم مشويٌّ
عليه دمٌ يابس،
دونما نَفَسٍ يتمددون
في قبور طويلة تمتد
في البعد.
الآن تصوَّر
الفضاءاتِ الفارغةَ الألفَ:
عاشقٌ يدخل فجأةً إلى رواقٍ،
أخٌ يمرّ بباب مدرسة،
أمٌّ تتلبَّث قرب بَسْطةِ خضار.
تصوَّرْ هذا الأمرَ مضاعفاً
عشراتِ المرّات لكلّ واحدٍ
من أولئك الأشخاص الألف.
والآن تصوَّرْ ألفاً آخر من
الناس يُحْرقون أحياء
في اليوم القادم.
وفي اليوم الذي يليه،
واليومِ الذي يليه.
جثثٌ جديدة، مآتمُ جديدة،
ناديُون جدد.
الحقل مفروشٌ بجثثٍ جديدة
كُلَّ صباحٍ جديد.
أميالٌ وأميال من الموت.
وفي المدن والبيوت،
تصوَّرْ كيف ينمو الفراغُ
العريقُ الصغيرُ[1]
مزدَحِماً بالغياب!

١ ـ المقصود: العراق. (م)